وليام أوشي والادارة المعرفية

تقديم:

يعد وليام أوشي من أبرز منظري التنظيم في أوخر القرن العشرين،غير أن إسهامه لا يُصنف. صراحة ضمن أدبيات "الادارة المعرفية" بالمعنى الاصطحلاحي الذي شاع منذ تسعينات القرن الماضي ومع ذلك فإن تحليل أطروحاته خاصة في نظرية Z ونموذج التحكم العشائري،يكشف عن حضور مركزي للمعرفة الضمنية، والثقافة التنظيمية، والتعلم الجمعي وهي عناصر تشكل اليوم ركائز أساسية لمقاربات الادارة المعرفية. وانطلاقا من هذا المعطى تسعى هذه المحاضرة إلى تفكيك الأسس النظرية لفكر أوشي وإعادة قراءتها في ضوء تطور الحقول المعرفية المعاصرة في علم اجتماع التنظيم والعمل.

أولا.التعريف بالشخصية:وليام غراهام أوشي أمريكي الجنسية، ولد ونشأ في الولايات المتحدة(هاواي) سنة 1943 وهومازال على قيد الحياة، وهو أستاذ وأكاديمي في مجال الادارة والتنظيم ومن أصول يابانية،قدم قراءة تحليلية للنموذج التنظيمي الياباني من داخل الحقل الأكاديمي الأمريكي،مما أضفى على أعماله طابعا مقارنا لاإنتمائيا،وهذا التوضيح يثبت أن نظريةZليست نقلا ثقافيا بل بناء تحليليا من باحث أمريكي تجاه تجربيتية تنظيميتين.

اشتهر أوشي بكتابه المرجعي نظرية زاد الصادر سنة 1981 والذي قدم فيه قراءة لأسباب تفوق المؤسسات اليابانيةمقارنة بنظيراتها الأمريكية. كما يعد اوتشي من الأوائل المبلورين لمفهوم التحكم العشائري الذي طرحه في مقاله سنة 1979 ويصنف فكره ضمن التيار المهد للادارة المعرفية بالنظر إلى تركيزه على:

- المعرفة غير المقننة
- التعلم التنظيمي طويل الأمد
- الثقافة باعتبارها مستودعا معرفيا

وبهذا يمكن اعتبار أوشي أحد المنظرين الذين مهدوا للانتقال من إدارة تقوم على السيطرة الرسمية إلى إدارة تقوم على المعرفة، المعنى، والانتماء التنظيمي.

ثانيا، السياق النظري والفكري لوليام أوشي

ظهر فكر أوشي في سياق أزمةالنموذج الاداري الأمريكي التقليدي خلال سبعينات القرن الماضي،مقابل الصعود اللافت للمؤسسات اليابانية. وقد حاول أوشي تفسير هذا التفوق بالانتقال من التركيز الحصري على الهياكل الرسمية والحوافز المادية إلى ابراز دور القيم والثقافة والمعرفة المتجسدة في الجماعةالتنظيمية(أوشي، 1981،ص4)

ينتمي أوشي نظريا إلى تقاطع ثلاث مقاربات: نظرية التنظيم، سوسيولوجيا العمل و والدراسات المقارنة في الادارة. وهو ماجعله يتجاوز الرؤية الأداتية للادارة نحو مقاربة أكثر رمزية ثقافية.

1- أسباب تبلور الفكر الأوشي: جاء مشروع كمحاولة لتجاوز العقلانية الصارمة والانسانية الرومانسيةمستندا في ذلك على: تراجع الانتاجية الصناعية الأمريكية

- تصاعد النزاعات العمالية
- فشل أنماط الرقابة الصارمة

في مقابل ذلك برز النموذج الياباني بوصفه نموذجا: عالي الكفاءة

- منخفض الصراع
- قائم على الالتزام طويل لاأمد

هذا التناقض دفع أوشي إلى مساءلة الفرضيات الأساسية للادارة الغربية خاصة:

- أولوية الحوافز المادية
- مركزية الرقابة
- الفردانية المنهجية في تفسير السلوك التنظيمي

2- موقع الفكر الأوشي: لاينتمي أوشي إلى مدرسة واحدة،بل يحتل موقعا وسيطا بين المدرسة السلوكية التي ركزت على العلاقات الانسانية والمقاربات الثقافية الناشئة التي اعتبرت التنظيم نظاما رمزيا،إلا أن أوشي يختلف عن السلوكيين في كونه لاينظر إلى الثقافة بوصفها عاملا نفسيا،بل باعتبارها بنية تنظيمية حاملة للمعرفة والقيم في آن واحد وهذا مايمنحه بعدا سوسيولوجيا واضحا يتجاوز التحليل الاداري الضيق،كما تأثر بالدراسات المقارنة والأنثربولوجية التنظيمية.

3- أوشي وإعادة تعريف الفعل التنظيمي: يتقاطع أوشي مع هربرت سايمون في نقد العقلانية المطلقة،فسايمون يرى أن الفاعل محدود معرفيا يرى أوشي أن التنظيم يُعوض القصور الفردي عبر بناء معرفة جماعية متراكمة، وبذلك تصبح الثقافة التنظيمية آلية عقلنة جماعية وليست مجرد خلفية قيمية

4- التحول الضبطي: يندج فكر أوشي ضمن مايعرف بالتحول من الضبط الرسمي القائم على السلطة إلى الضبط الرمزي القائم على المعنى، ففي نظره فالتحكم العشائري لايعتمد على القواعد المكتوبة والعقوبات،بل على التنشئة التنظيمية التي تنتج فاعلين يتصرفون وفق منطق الجماعة ويستنبطون معاييرها المعرفية،وبهذا فهو يقترب إلى سوسيولوجيا الضبط الاجتماعي.

ثالثا: نظرية Z والأسس المعرفية الضمنية

تقوم نظرية زاد على إفتراض أساسي مفاده أن الفعالية التنظيمية لاتتحقق فقط عبر القواعد والاجراءات، بل عبر تراكم معرفة ضمنية مشتركة داخل التنظيم. فالثقة والاستقرار الوظيفي ،والمشاركة في اتخاذ القرار، كلها آليات لانتاج المعرفة وتداولها داخل الجماعة(أوشي،1981،ص ص58و60)

يرى أوشي أن المعرفة لاتختزل في التقارير المكتوبة بل تبنى عبر التفاعل اليومي وتُخزن في الثقافة التنظيمية على شكل معايير غير رسمية،وهذا مايجعل التنظيم في تصوره نظاما معرفيا حياً وليس مجرد جهاز تنفيذي.

رابعا: التحكم العشائري والمعرفة الضمنية:

يمثل مفهوم التحكم العشائري الاسهام الأكثر عمقا في ربط أوشي بالادارة المعرفية.ففي مقاله المرجعي يميز بين ثلاثة أنماط للضبط التنظيمي:

- الضبط البيروقراطي
- الضبط السوقي
- الضبط العشائري (أوشي، 1979،ص833)

ويعرف الضبط العشائري بوصفه نمطا يعتمد على القيم المشتركة،المعايير الداخلية، المعرفة الضمنية المتقاسمة بين الأعضاء، وفي هذا النمط تصبح المعرفة غير قابلة للتقنين الكامل،فهي متجذرة في الممارسة ومحمية بالانتماء الثقافي. وهو مايتقاطع بوضوح مع سيطوره لاحقا نوناكا وتاكيو تشي حول المعرفة الضمنية.

خامسا: الثقافة التنظيمية كحامل للمعرفة:

يمنح أوشي للثقافة التنظيمية دورا مركزيا بوصفها مستودعا معرفيا. فالثقافة ليست مجرد إطار قيمي بل آلية لتخزين الخبرات ووسيطا لنقل المعرفة بين الأجيال التنظيمية وأداة للضبط غير الرسمي (أوشي، 1981،ص75)

ومن منظور علم اجتماع التنظيم يمكن اعتبار الثقافة التنظيمية عند أوشي: بنية معرفية غير مرئية تنظَم السلوك دون الحاجة إلى سلطة رمية مباشرة.

سادسا: موقع أوشي ضمن تطور مقاربات الادارة المعرفية:

رغم أن مصطلح KNOWLEDGE MANAGEMENT لم يكن متداولا في أعماله فإن فكر أوشي يصنف ضمن الجيل التمهيدي للادارة المعرفيةإلى جانب بيتر سنج (التعلم التنظيمي)،كارل ويك (صناعة المعنى) وهربرت سايمون (العقلانية المحدودة)،إسهامه يتمثل في:

- نقل المعرفة من مستوى الفرد إلى الجماعة
- ربطها بالثقافة لابالتكنولوجيا
- اعتبارها مصدرا للضبط والتنظيم لامجرد موردإنتاجي.

سابعا:قراءة نقدية:

رغم القيمة التحليلية العالية لفكر أوشي إلا أنه وجهت إليه انتقادات أهمها:

النزعة التعميمية في النموذج الياباني

إغفال علاقات السلطة والصراع

افتراض الانسجام الثقافي داخل التنظيم

خاتمة:

يمكن القول أن وليام أوشي وإن لم يكم منظرا مباشرا للادارة المعرفية،إلا أن أعماله تشكل لبنة تأسيسية لفهم المعرفة بوصفها ظاهرة تنظيمية جماعية،متجذرة في الثقافة والممارسة اليومية ومن هذا المنظور يظل فكره حاضرا بقوة النقاشات المعاصرة حول التنظيم الذكي والتعلم المؤسسي ورأس المال المعرفي.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...